# فتاة تارانتو للشاعر الفرنسى
# ( أندريه شينييه)

**أ.د. نادية كامل**
**كلية الآداب ـ جامعة المنيا**

تركت الحضارة اليونانية و الرومانية القديمة بصمتها على الأدب العالمى بشكل عام ، و ذلك على مر العصور. و صارت الأساطير القديمة منبعا و غذاء لخيال الشعراء و الفنانين، و فتحت عوالم جديدة يكتنفها السحر و الغموض . فعرف المسرح الفرنسى الحضارة و التراث القديم و تشبع به، ورأينا على خشبة المسرح الشخصيات الأسطورية اليونانية و آلهة اللأولمب، و حملت عناوين المسرحيات الفرنسية أسماء تلك الشخصيات مثل : **"افيجنيا"** و **"اندروماك"** و **"انتيجون"** و**"ميديا"** و**" أوديب"**.... و لم يقتصر ذلك على عصر الأدب الكلاسيكى فحسب، بل امتد حتى العصور الحديثة فرأينا سارتر يستوحى مسرحية **"الذباب"** من اسطورة **"اورست"** وكوكتو يقدم **"الآله الجهنمية"** التى ترتكز على مسرحية **"أوديب ملكا"** لسوفوكليس، وأنوى يقدم **"انتيجون"** وجيرودو يقدم **"حرب طروادة لن تقوم"** و **"الكترا"** ... ينهلون جميعا من الحضارة اليونانية / الرومانية القديمة ليعبروا من خلالها عن افكار جديدة ، حتى الرواية الفرنسية المعاصرة لجأت إلى الأسطورة نذكر على سبيل المثال ميشيل تورنييه فى روايته **" ملك الأحراش"** و **"الممحاوات"** لألان روب جرييه رائد الرواية الجديدة فى فرنسا التى نجد فيها اشارات متعددة لأسطورة أوديب.

أما عالم الشعر الذى نتطرق إليه الآن ، فقد تم اهماله فى القرن الثامن عشر لأن هذا القرن كان قرن الفلسفة و عصر الثورة : عصر ڤولتير و ديدرو و مونتسكيو، عصر التنوير، فتوارى الشعر قليلا ، إلا أن بوالو ( Boileau ) بدأ ثورة فى اواخر القرن السابع عشر، فشهدنا عودة صاخبة للفن الأغريقى بكافة اشكاله من شعر و نثر و تصوير... فقد اعتبره بوالو النموذج المثالى للجمال و كان هذا بمثابة صحوة جديدة لهذا التيار منذ معركة القدامى و المحدثين التى كان بوالو قد بدأها عام ١٦٧٤، فالفن الأغريقى فى نظر بوالو هو مثال للكمال الذى لا يمكن تخطيه ؛ و قد تأثر الشعر الفرنسى بهذا التراث الثرى سواء فى الشكل أو المضمون.

والقصيدة – النموذج – التى نحن بصددها اليوم هى قصيدة فتاة تارانتو La Jeune Tarentine للشاعر الفرنسي اندريه شينييه André Chénier (١٧٦٢-١٧٩٤) الذى ولد فى اسطنبول لأب فرنسى و أم يونانية ، و كانت حياته شبية بالمأساة اليونانية، إذ مات على المقصلة بعد الثورة الفرنسية و هو فى الثانية و الثلاثين من العمر. فقد اثارت الثورة الفرنسية حماس الشاعر ، فتبنى افكارها ثم بدأ فى انتقادها مفضلا عليها ملكية دستورية ، فأعتبر خائنا و قدمت رأسه للمقصلة عام ١٧٩٤.

تشبع شينيه بالثقافة اليونانية حيث اختلط فى صالون و الدته الأدبى بالمولعين بالدراسات القديمة و الأثريين و الفنانين ( نذكر منهم على سبيل المثال دافيد الذى صورت لوحاته مشاهد من الأساطير اليونانية المعروفة) مثل لوحة قسم آل هوراس و ندم اندروماك على جسد هيكتور .

يتميز شينيه عن غيره من الشعراء الذين تأثروا بالتراث الأغريقى انه تشبع بالثقافة اليونانية و لم يقلدها. أحبها و كان يشعر ان هذه الثقافة هى ثقافته الحقيقية، كانت جذوره اليونانية و رحلاته إلى اليونان محركا لما فى نفسه من ولع بهذه الثقافة. كتب شينيه قصائد رعوية Les Bucoliques بالشكل الكلاسيكى و عنوان الديوان مستوحى من ديوان فيرجيل الذى كان قد إستوحاه بدوره من الشاعر اليونانى ثيوكريت. كان يؤمن بأن تقليد القدامى لا ينصب إلا فى الشكل و القوالب ، أما الموضوع و الأفكار فلابد أن تكون من وحى العصر الذى يعيش الشاعر فيه. و لنذكر فى هذا السياق مقولته الشهيرة :

**" لنضع أفكارا جديدة فى قوالب قديمة "**

لم تنشر أعمال اندريه شينيه إلا بعد وفاته بربع قرن ، و كل ما نشر له أثناء حياته قصيدتان. لم يكن شعره تقليدا، بل كان وليد انطباعات الطفولة الأولى فى اليونان ، ظلت ذكراها فى وجدانه. كان شعره عذبا و رومانسيا و كانت الحركة الرومانتيكية الفرنسية فى القرن اللاحق تبحث عن رواد فاحتضنت شعره ، و اعتبر شينييه ممن فتحوا الطريق أمام الشعر الرومانتيكى الفرنسى ، إلا انه لم يكن كذلك، كان كلاسيكيا مولعا بالقديم يحتذى النموذج الأغريقى.

القصيدة التى نحن يصددها الآن مستوحاه من الشاعر الرومانى ماركوس مانيليوس الذى عاش فى القرن الأول. القصيدة ناقصة ، لم يسعفه القدر لإكمالها، إلا انها تعتبر من اهم اعماله، فهى تقدم رؤية تشكيلية متحركة ، تقدم الفتاة **ميرتو**[1] القادمة من مدينة تارانتو ( مدينة إيطالية ساحلية) التى تغرق و هى ذاهبة لعرسها فى مدينة كامارينا ( إحدى موانئ صقلية) و كأنها فريسة لقدر غاشم. منذ الأبيات الأولى ندخل إلى عالم الأغريق. و تبدو القصيدة و كأنها تراجيديا اغريقية تزخر بالكثير من السمات الكلاسيكية ، سواء فى الشكل أو المضمون.

تبدأ القصيدة بموت العروس ، ثم تعود إلى ماضيها القريب حين كانت تحتفل و تستعد لزفافها المرتقب ثم تختتم القصيدة مرة أخرى بموتها و حزن الطبيعة عليها.

فى الأبيات الأولى من القصيدة نجد نداء على الطيور المقدسة كى تبكى, وتتشارك مع الطبيعة فى الحزن على ميرتو:

" ابكى أيتها الطيور الرقيقة
" انت أيتها الطيور المقدسة
الطيور الغالية على تيتيس ، أيتها الطيور الرقيقة ابكى "

تيتيس إلهة البحر و معها حوريات البحر عليها ان ترفق بالعروس و قد رفقت بها تيتيس والدة اخيل و ابنه نيريه اله البحار و الذى يسمى عجوز البحار. ثم يعود الشاعر ليصف استعداد العروس للزفاف : الثوب ، و الحلى و العطور و الغناء واللهفة على الوصول. و فجأة تتحول القصيدة إلى احتفالية جنائزية:

" إذ ان مفتاحا يقظا
اغلق في هذا اليوم الصندوق الخشبى على ثوب عرسها
و على الحلى الذهبية التى ستُزين ذراعيها
و على العطور المعدة لشعرها الأشقر"

لكن تقع ميرتو فى قلب الأمواج ، تلف امواج البحر جسدها النحيل، اشارة هنا إلى الجمال الهش .تبكى تيتيس و تخبئها داخل صخرة ، ثم ترفع حوريات البحر

[1]- اسم ميرتو غنى بالأشارات ، فهو اسم لشاعرة إغريقية ، كما أنه يشير إلى شجرة عطرية (Myrte ) و قد استخدمه جيرار دى نرفال ( ١٨٠٨- ١٨٥٥) فى القرن اللاحق عنوانا لإحدى قصائده.

والغابات و الينابيع و الجبال جسدها عن الماء ، بعيدا عن اعين وحوش البحر المفترسة لتتشارك مع عناصر الطبيعة فى الحزن و البكاء عليها.

القصيدة مكتوبة بلغة سهلة و لكنها تزخر بالأشارات الأغريقية و بأسماء الآلهه، وهى مكتوبة وفقا لبحر الشعر الكلاسيكى السكندرى، هى قصيدة تشير إلى القدر اليونانى المحتوم الذى كتب على العروس ان تلقاه.

لاقت هذه القصيدة شهرة كبيرة و صارت مثالا للجمال الأغريقى الذى دخل عالم الشعر الفرنسى فى عصر لم يكن الشعر فيه يلقى الأهتمام.